

موسيقى

بشار زرقان جلسة سمر مع «حلاج الأمل»

في بيئة محفلة بالموروث الإيقاعي الصوفي، ولد الموسيقي والمطرب السوري. غنى الشعر الحديث مع بدر شاكر السياب، ومحمود درويش، وطاهر رياض، وايضاً الصوفي مع الحلاج، ورابعة العدوية، وابو حيان التوحيدي، وابن الفارض. أمسيته الليلة في «بابل» بدعوة من «نادي لك الناس»، تضميد لجراح سوريا



«مسرح الصوت» أسهمت في إعطائه منظوراً ثلاثياً في التوظيف الصوتي حيث «بعد القصيدة، وبعد الحركة وبعد الصوت الغنائي». مثلاً، يتناول «جدارية» درويش بثلاث قراءات، أولها جمالية، فموسيقية، فمسرحة. يبحث بعد ذلك في كيفية توظيف الثلاث في سياق واحد لنهاية واحدة، «أريد أن أحيأ...». نعم، نتكلم هنا عن «الجدارية» (2002) التي بقيت في خانة منفصلة، ليعتبرها المغني والممثل السوري صفقة كبرى للعمل الموسيقي، فافتتح بها «مهرجان جرش الدولي» و«مهرجان الربيع» الثقافي في البحرين.

«فالنص يحمل دلالات شعرية، مسرحية وموسيقية. هو نصٌ مشاكس في الكلمة التي تنسحب على جنون وإبداع الشاعر». صداقة متينة جمعت درويش وزرقان، إذ افتتح شاعر الأرض «دائرة الفنون» التي أسسها زرقان في باب توما في دمشق القديمة عام 2006، فضاءً لحوار المبدعين وورشات العمل في مختلف فنون العرض والكتابة.

مقامياً، تسيطر على موسيقاه الصوفية والدينيوية، مقامات العجم، النهوند والحجاز. مقامات مرنة (غير زلزلية) تستطع لعبها آلات غربية كالبيانو والكلارينيت إلى جانب آلات أخرى يدخلها لتعطي هجيناً صوفياً كالبرق والناي والقانون. لكننا نسمع أيضاً الهزام الشرقي في أعمال مثل «يا هذا»، شعر أبو حيان التوحيدي في أسطوانة «حالي أنت» التي يستهلها على مقام الهزام. ويقترب من نفسه في «مالي جفيت»، حيث نتلمس شخصية موسيقية فريدة، بل نرى إحدى أجمل المقاربات الموسيقية التي تعاطت مع شعر الحلاج الذي تناوله العديد من الموسيقيين والفنانين العرب منهم أم كلثوم، مرسل خليفة، جاهدة وهبه، ظافر يوسف... في حفلة «بابل» الليلة، سنستمع إلى ما هو من ألحان زرقان وغناؤه بمشاركة ميرنا قسيس في أمسية يصفها بأنها تحاكي الشعب السوري الذي يلحج الأمل على درب الآلام التي سلكها الحلاج والمسيح.

حفلة بشار زرقان: 20:30 مساء اليوم - «بابل» (الحمرا). للاستعلام: 01/343101

لمحمود درويش. يشدد هنا على أن علينا كملحنين أن ننضج لنصل إلى مستوى النص، ونطور بعد ذلك علاقتنا بأعمال الشاعر. خبرته في

بدر شاكر السياب (1926-1964)، ومحمود درويش (1941-2008)، وظاهر رياض (1956)، والصوفي مع الحلاج (858-922)، ورابعة العدوية (717-796)، وأبو حيان التوحيدي (922-1023) وابن الفارض (1181-1235). يقول: «الرهبنة التي انتابتنى حين قرأت «هذا هو اسمك... قالت امرأة، وغابت في الممر اللولبي...» كانت تشبه رهبتي حين كنت أشاهد



تسيطر مقامات العجم، النهوند والحجاز على موسيقاه الصوفية والدينيوية

حلقات الذكر والحضرة في صغري». في رصيده أربع أسطوانات متباعدة زمنياً فيما نرى فرقا في تعاطيه مع أعمال الشعراء، مثلاً، تختلف الترجمة الموسيقية في أغنيات «قمر على بعلبك ودم على بيروت» (1983)، و«سقط الحصان» (2008)، ثم «في البيت أجلس» (2010)



الإيقاع الشرقي «السنكوبي» نسبة إلى نظيره في التقاليد الموسيقية العالمية. «نادي لكل الناس» يقدم «حلاج الأمل» نسبة إلى أغنية «حلاج الوقت» التي نظمها طاهر رياض من وحي الحلاج. أمسية يحييها بشار زرقان وفرقته الإتيية من دمشق الليلة في بيروت. ولد مغني الحلاج في حارة الشبيخة مريم في دمشق، حيث التراث الصوفي الذي ينبض بالإيقاع خلال حلقات الذكر والحضرة مثل «يا أولى الألباب»، «أقرأ» وغيرهما. جاءت موسيقاه مطبوعة بهذا التراث من حيث الكلمة واللحن: «لا أعتبر الشعر الصوفي قديماً. أرى مثلاً أن هناك معاني قريبة من الناس ولا تحتاج إلى قاموس لفهمها في قصيدة عمر ابن الفارض (1181-1235) «قلبي يُحدّثني بأنك مُتلفي، روعي فداك عرفت أم لم تعرف...». علاقة موسيقى زرقان بالكلمة كانت منفتحة على كل التلاوين والمدارس. هكذا، غنى الشعر الحديث مع

سوريا الموت المجاني

يشير بشار زرقان إلى أنه لا يستطيع أن يترجم انفعالاته الحياتية فوراً في الموسيقى. يقول: «ما يحصه في سوريا يحتاج وقتاً لينصره في وجداننا، ويدخله إلى المطبخ الداخلي ليخرج مادة موسيقية صادقة، ولا اعرف ماذا ستكون مادتي. انتظرها بهدوء لانني عاجز عن تقديم عمل يترجم الموت المجاني والتشريد».

لأراملنا

تميز الموسيقي والمطرب السوري بشار زرقان بكسر تقاليد التأليف الغنائي العام. لم يلتزم قالباً معيناً في معظم أعماله. ترك الكلمة الشعرية تحدد اللحن والمقاطع بحسب الجمال التعبيرية. يقول لنا عشية حفلة الليلة في «مسرح بابل»: «هناك مقاطع شعرية أحس بأن موسيقاها في الكلمات، لذلك لم أستطع أن أضيف إليها سوى الإلقاء». لا بل يعطي الكلمة الحق في تحديد قالب الإيقاعي أحياناً. نرى في «أنا من أهوى» للحلاج، إيقاع اللغة في أقوى حالاته، إذ يقطع ضابط الإيقاع ضرباته بحسب حركات النص، فيأتي الإيقاع مركباً وفق ضغط الكلمة: «فما لي بُغْد بُغْد بُعْدك بُعْدما، تَبَعْتُ أنُ القرب والبُعد واحد. وإني وإن أُهجرْتُ فالهَجْرُ صاحبي، وكيف يصحُّ الهجر والخُب واحد». منه نتذكر كم أثرت طبيعة اللغة العربية على تنوع

مقاومة

أميمة الخليل ومروان مخول يستنهضان ضمير فلسطين

عبدالرحمن جاسم

أطلقت الفنانة اللبنانية أميمة الخليل والشاعر مروان مخول (من الداخل الفلسطيني المحتل) مغناة «خطبة الأحد» (Sunday Sermon) وكانت الموسيقى لمراد خوري والإخراج (كفيديو كليب) لعنان قيم وسري بشارت. تدور فكرة المغناة حول «تحفيز» الشباب المسيحي وغير المسيحي من أبناء الأقليات على رفض التجنيد في الجيش الصهيوني، مازجة أسلوباً بين الشعر الملقى الذي يؤديه مخول بطريقته المميزة، والغناء الشجي الذي تمتاز به أميمة. «طوبى لمن حمل السلاح بوجه إمتة/ وخان كتابه السلمي/ كي تحميه دولته/ من الإسلام يربعه، وترهبه/

أميمة إلى أنه منذ البداية «قلت له إلا يحذف أي مقطع من القصيدة الأصلية، فهي جميلة كما هي، وإذا ما تضايق أحد من أي جملة فيها، فهي مشكلته، فنحن يجب أن نقول الأشياء كما هي».

ماذا عن اختيار أميمة للمشاركة؟ يشير مخول إلى أن اختارها «كان جمعياً من فناني الداخل العاملين على المشروع، لثلاثة أسباب: أولاً إيماناً منا أنها صوت مهم وبعيد عن الترويج الإعلامي الذي لا يعتمد على المهوية، ثانياً لأنها صاحبة تاريخ في النضال وانسانة ملتزمة بقضايا شعبها ومحيطها المجاور، وثالثاً لتاريخها الطويل والحافل مع القضية الفلسطينية؛ فضلاً عن أن وجود أميمة في العمل لإضفاء طابع عربي على العمل».

صديقهما المشترك المحامي المعروف جواد بولس الذي حدثها للمرة الأولى عن مروان مخول ورغبتهم كفلسطينيين بالعمل معها على أغنية تجمعهما معاً.

إذاً، تتوجه المغناة إلى جمهور خاص كما يبدو للوهلة الأولى، لكن مروان يصر على أنها موجهة للجميع. من خلال الكليب الذي يرافق الأغنية، «حاولنا أن نقرب الأغنية من الجميع، ونجعل الصورة مرادفة للكلمة، مهما كان ثقل الكلمة وصعوبتها. فانت لا ترى مشاهد تشويقية في الكليب، نحن عندنا أكثر من ألف سنة من الحضارة لتقريب الصورة وجعلها للجميع».

لكن هل واجها -أي أميمة ومروان- أثناء صناعة الأغنية أي نقاش حول طبيعة كلمات الأغنية ذاتها؟ تشير

بأنه شاعرٌ حاد، مضيقاً: «قد أكون شاعراً حاداً وصادماً، ربما نشأتي في بيئة ريفية في الجليل الأعلى جعلتني أقرب إلى الطبيعة بصورتها الأولى المباشرة».

أنا أكتب عن قضايا محيطة بي، إذ أشعر بذلك التمييز العنصري ضدنا،

مغناة تحث الأقليات على رفض التجنيد الصهيوني

وبالواقع الموجع، فحياتنا في الداخل الفلسطيني قاسية، نحن نقاتل يومياً لأجل وجودنا وهذا ربما ما يجعلنا هكذا». هذا الأمر جذب أميمة الخليل، فهي تخبرنا بأنها شعرت بأنها «راحت بنفسها إلى فلسطين» حين سمعت قصائده للمرة الأولى عبر

